

# أسلبة الدستوبيا وإيطيقا اليوتوبيا في رواية ربيع حار للروائية سحر خليفة نموذجاً\*

## The style of dystopia and utopia

In the novel A Hot Spring by novelist Sahar Khalifa as a  
model.

لوت زينب

المدرسة العليا للأساتذة مستغانم، (الجزائر)

[loutlout211@gmail.com](mailto:loutlout211@gmail.com)

### ملخص:

أدب اليوتوبيا والدستوبيا لا ينفصلان كونهما يحملان جسدنة الواقع أو المأمول منه فهما يصوران موجوداً يعتكف فصول الفساد ونوازه أو عالماً بديلاً طوباوياً يميل للفضائل أو يحاول تحرير الإنسان وتطهيره من براثن التدنيس، لذلك صور الأدب وجودهما وكان السرد متسعا في تحديد تفاصيل الثنائية ومفاصل تفاصيلهما، كانت الديستوبيا أكثر تحورا في خطابات الرواية.

تعد رواية (ربيع حار) من بداية عنوانها لمشهدية الألم والنزاع الفلسطيني مع الاستيطان محكي يفتق حدود المعنى الداخلي للبؤس والصراع، استطاعت الرواية الفلسطينية (سحر خليفة) منحنا نموذجاً للبحث وفي الوقت نفسه لجمالية المقاومة داخل الإنسان ذاته وسط مجتمعه ومفاهيمه للقضية وانتماءاته الفكرية وهي محور مداخلة تجسد المفاهيم والتصورات حول الديستوبيا واليوتوبيا في الأدب عامة وأدبيات السرد خاصة، ثم تختص في الرواية تمثيلاً وتمثالاً عبر التحليل والدراسة.

الكلمات المفتاحية: اليوتوبيا، الدستوبيا، الرواية، الفلسفة، الرواية، سحر خليفة، ربيع حار.

### Abstract:

Utopian and dystopian literature are inseparable because they both embody the reality we live or the ideals we aspire to. They depict an existing world either entrenched in corruption or its impulses, or an alternative utopian world that refers to virtues or tries to liberate and purify humanity from the clutches of moral decay. So, literature portrays the existence of both, and narrative expands upon the details of the duality and the details of their details, dystopia was more centered in the discourses of the novel.

\*

تاريخ النشر: 2025/05/15	تاريخ قبول البحث: 2025/04/04	تاريخ استلام البحث: 2024/12/06
-------------------------	------------------------------	--------------------------------

The novel *A Hot Spring* (Arabic: ربيع حار) from of its title evokes the pain and struggle of the Palestinian conflict with the settlement is a storyteller that lacks the limits of the internal meaning of misery and conflict. The Palestinian novelist (Sahar Khalifa) was able to give us a model of absurdity and at the same time the aesthetic of resistance within the human being himself amid his society and his concepts of the issue and intellectual affiliations, which is the focus of an intervention that embodies concepts and perceptions about dystopia and utopia in literature in general and narrative literature in particular, and then specializes in the novel representation and symmetry through analysis and study.

### 1- مقدمة

يُعدُّ مصطلح اليوتوبيا والدستوبيا من أهم المفاهيم الاصطلاحية التي ترافق الوضع التصويري للنص، نحو مجال الكتابة، ونقل عوالم الواقع أو احتواء المتخيل، قيمة إبداعية للفكر الإنساني نحو وجوديته وتنظيم رؤية بين ثنائية العالم الفاسد والمثالي النموذجي في الخطاب الروائي، وهي نفسها جدلية الصراع الدائم بين الشر والخير.

2- المفاهيم والمصطلحات:- اليوتوبيا والدستوبيا بين الإيديولوجيا والفلسفة:

### 2-1- اليوتوبيا

تدرج كلمة (يوتوبيا) في المعجم الفلسفي بين مفهومين متقاربين لهما نفس المعنى لـ(يوتوبي) في إنجلترا حيث تنبني وفق النظام الاجتماعي الجديد الذي رسمته الاشتراكية لإحداث المساوات أو الانسان العاجز عن " إدراك الظروف الاقتصادية الراهنة كشرط لأي تغيير اجتماعي، أي ذلك الذي يعجز عن رؤية الاكتشافين اللذين ينسبان إلى ماركس وهما النظرة المادية للتاريخ ونظرية فائض القيمة"<sup>1</sup> يمارس العامل الإنساني موقعا مهما في تحديد المفاهيم بين حلم تحقيق المثالية وعجز التحقق، أمام دراسة جدلية الاقتصاد ومقياس البعد الاجتماعي، في نمط التعايش بين المكون المعيشي وقدرة توظيف التوازن القيمي، ويحدد (ماركس) فائض القيمة من خلال استغلال الرأسمالين العمال بدفع أجور زهيدة مقابل جهودهم وتخصيص الفائض كأرباح وهو ما يحدث الاختلال الطبقي، أما مصطلح يوتوبيا في المعجم الفلسفي فلا يختلف كثيرا عن ما سبق "يوتوبيا Utopia Utopie اللفظ الإفرنجي مشتق من اللفظ اليوناني outopia وهو مكون من قطعتين ou ومعناها لا وTopos ومعناها لا مكان أي مكان غير موجود وفي السياسة يوتوبيا عبارة عن رغبة ليس في الإمكان تحقيق صدقها لا الآن ولا بعد الآن رغبة لا تستند إلى قوى الاجتماعية والسياسية الصاعدة.

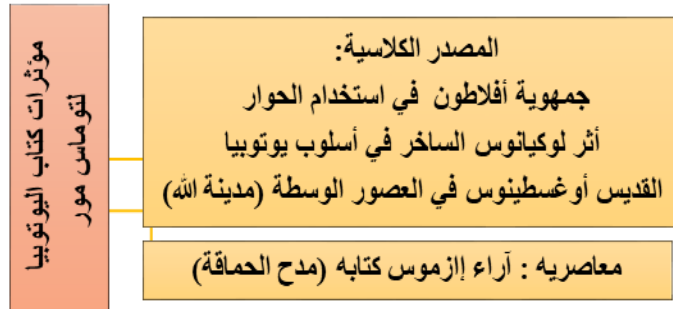
جمهورية أفلاطون هي أول يوتوبيا، يليها كتاب توماس مور بعنوان (يوتوبيا) وهو جزآن الأول ينقد فيه الحياة الاجتماعية في إنجلترا في بداية القرن السادس عشر حيث شيوخ الاستبداد والفساد والبطالة والجريمة، والثاني استعراض لمجتمع مثالي في مكان خيالي يخلو من الاستبداد والملكية الخاصة ويستند إلى العمل اليدوي كأعظم قيمة في الدولة، ويبدو أن يوتوبيا مور متأثرة بجمهورية أفلاطون ومدينة الله لأوغسطين.<sup>2</sup> بانتماءها إلى اللفظ اليوناني وارتباطها بجمهورية (أفلاطون) واستراتيجية (توماس مور) في صنع عالم بديل، يمكن تحديد عدم إمكانية تحقيق العالم المثالي أو تعويض الفساد بالانسجام والتكامل، هي شريعة الإنسان في البحث عن الكمال أو تحقيق ما يقارب الفضيلة، إلا أن الواقع والتبني مجال مفتوح لأنظمة تجسد النظام وتحيل القانون بوضع صرامته على الشعوب وتكييف معالم الأخلاق أو فرضها.

تميل طبيعة الحياة الإنسانية إلى الفضائل أو تنعاش وفق منظور المثالية الأخلاقية، يعد توماس مور أحد أعظم أعماله الأدبية والفكرية (يوتوبيا) مسارا لخلق عالم مواز يحقق السعادة والعدل "تعد (يوتوبيا) أكثر أعمال توماس مور شهرة وذيوغاً كما تكاد تكون الأولى من سلسلة الأعمال الأدبية الفكرية التي تقدم صورة متكاملة لعالم مثالي، تختفي منه شرور عالم الواقع، وتحقق فيه أحلام الإنسانية بالسعادة والكفاية والعدل، وذلك في قالب روائي جذاب أما فكرة العالم المثالي أو الفردوس الأرضي أو اليوتوبيا كما صارت تسمى منذ صاغ مور هذه الكلمة، ففكرة راودت خيال الإنسان من قديم الزمان وتناولها الفلاسفة والمفكرون"<sup>3</sup> ما يتصل بمفهوم اليوتوبيا الممتد نحو المدينة الفاضلة لأفلاطون الذي ولد في أثينا سنة 428 ق.م وكانت وفاته فيها سنة 374 ق.م. وهو من عائلة أرستقراطية كانت تشارك في حكم أثينا، واسمه الحقيقي إرستليكس، غيره إلى أفلاطون وأصله في

اللغة اليونانية (بلاتيس) ومعناه: عريض، قيل: إنه لقب بذلك لعرض جبهته أو منكبيه، ومنهم من قال لسعة علمه"<sup>4</sup> هذا عن حياته وتسميته أما عن مفهوم المدينة الفاضلة "وتتركز عقيدة أفلاطون بشكل عام حول فكرة العقل بأنه القوة القادرة على كشف المفهوم والنظام اللذين يحكمان العالم المتغير المظاهر، وعلى خلق الحياة المنسجمة السعيدة بين الحكومة والشعب، وبينما كانت نظرة سقراط بأن الفضيلة هي شكل من أشكال الفهم، وأن المعرفة هي السبيل إلى الحياة السعيدة، فإن نظرة أفلاطون هي أن التعليم الفلسفي يجب أن يهدف إلى خلق الانسجام بين العقل والعاطفة، وإن الحياة السعيدة هي التي يكون فيها الإنسان سيد نفسه والتي تحكم العقل فيها إرادته لا كشيء دخيل عليها وإنما كدليل ومصدر طبيعي يهدي ويغذي تلك الإرادة"<sup>5</sup> ارتبطت الفضيلة عند أفلاطون بالفلسفة التي تأثر بها الفكر العربي عن طريق الفارابي بمنظور إسلامي من خلال مؤلفه (أراء أهل المدينة الفاضلة) "بمقدمات كلامية مستفيضة وميز المدينة الفاضلة عن المدينة الفاسقة والمدينة الضالة

والمدينة الجاهلة، والمدينة المعتزلة متأثراً بالتوجهات الإسلامية، وتبعه في النهج نفسه ابن باجة الأندلسي في كتابه (تدبير المتوحد) وظلت المؤلفات السياسية الفلسفية بمنأى عن التأثير المباشر في المجتمعات الإسلامية التي أفرزت دولاً قائمة على العصبية القبلية والدين كما فصلها ابن خلدون فيما بعد<sup>6</sup> وهنا يتضح أن المثالية في تأسيس الفضاء الفكري والمكاني يتصل بالمعنى الديني والعرفي بين محيط الجماعة الواحدة، كما تحدد نموذجها الإنساني حسب مؤشرات التوجه الإيديولوجي للمجتمعات.

تترتب الجمهورية الأفلاطونية في إلهامها الفلسفي العميق، وجذورها النابعة عبر تأسيس منظومة فلسفية تسعى لترتيب الحياة الإنسانية في ظل التعاملات الإيديولوجية المثالية حيث يرى أفلاطون مثلاً "ورأى أن الفن عامة هو محاكاة وتقليد، يبتعد عن المثل مرتين مرة حين يُقلد الأشياء المادية ومرة حين يعرف أن هذه الأشياء ليست سوى أشباح زائلة للمثال الأصلي"<sup>7</sup> وهي النظرة الشائعة عن الشعر على أنه رموز حسية التي لا تتصل بالحقائق وقد قسم جمهوريته إلى ثلاث طبقات هم الأوصياء والمحاربين والمزارعين، كما استندت اليوتوبيا عند (نوماس مور) إلى منبعين يمثلان العصور القديمة والمعاصرة للكاتب حيث تتكون "مصادر اليوتوبيا إلى قسمين: مصادر فكرية كلاسيكية معاصرة، ومصادر أو انعكاسات حضارية وفكرية للعصر الذي كتبت فيه، أو للقضايا التي تشغل بال مؤلفها"<sup>8</sup>



ارتباط الأيديولوجيا باليوتوبيا شكل من أشكال القياس فلا تتحقق المقاييس دون تخطيط وتنظيم وفكر ورؤيا" ولدى مفهومي الأيديولوجيا واليوتوبيا تطرح قضية طبيعية الحقيقة والواقع نفسها على بساط البحث، كل من المفهومين يلح على وجوب ان تقاس كل فكرة بمدى مطابقتها للواقع وانسجامها معه، ولكن مفهومنا عن الواقع يخضع في هذه الأثناء لإعادة النظر وثمار حوله الشكوك ذلك ان كل الجماعات والطبقات المتصارعة في المجتمع تسعى إلى هذا الواقع في أفكارها وأفعالها، ولاعجب أن يبدو الواقع بصورة مختلفة لكل منها"<sup>9</sup> تسعى المجتمعات على تحقيق نموذج إنساني، يخضع الإنسان إلى المثالية وسبل الأخلاق في التعامل والتعايش والحياة بصفة عامة، كما تمارس الأيديولوجيات نمطاً في توظيف أفكارها وسياستها من أجل تسيير هذا النموذج الذي يحد من الصراعات والأزمات الخائفة للسلام داخل حدود الممارسة الفعلية للاقتصاد والسياسة وما يتيح للمجتمع

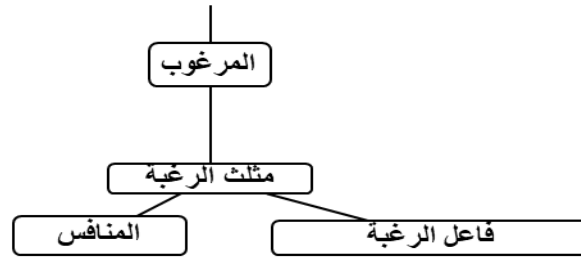
الانسجام والاستقرار، فهل يمكن الوصول لهذه الطبيعة الخالية من شوائب الاختلال التام؟ أو الوصول للاستقرار المتكامل؟

## 2-2- الديرستوبيا

ينعكس مفهوم اليوتوبيا في الديرستوبيا التي تتطرق ارتباطاً بالاختلاف واستنطاق أوجهه المقابلة بين عالمين من الأفكار والصور "لفظة الديرستوبيا Dystopia، فتعني الضد من اليوتوبيا، فهي المدينة الفاسدة التي ترزخ تحت الفقر والجوع والظلم"<sup>10</sup> هي انعكاس تدريجي للقيم بين فضاءين من الأنظمة التي تحاول بناءها أو تهديمه.

تعد رواية "نحن" للكاتب الروسي (يفغيني زامياتين) من أوائل روايات ديرستوبيا التي نشرت عام 1926 عالم تحكمه الشرور، الفساد بشتى أنواعه القتل والتنكيل والجوع والأمراض باختصار" هو عالم يتجرد فيه الإنسان من إنسانيته يتحوّل فيه المجتمع إلى مجموعة من المسوخ تناحر بعضها بعضاً. وكلمة "ديرستوبيا" التي تعني باللغة اليونانية المكان الخبيث وهي مكان أو بلد تخيلي حيث كل شيء مزيج أو سيء وعادة ما يكون ضمن نظام شمولي أو في وضع بيئي سيء، على عكس "يوتوبيا" التي تعني المكان الفاضل<sup>11</sup>". وهو عالم رسمه للمستقبل البعيد متنبأ بالخاصية التي سيتعايش فيها العالم، تمثلت شخصياتها في مجموعة من المسوخ تتقاتل فيما بينها، تثير الرواية نوعاً من المخاوف والهلع، لكنها توظف لأدب الديرستوبيا بأقصى خصائصه ومميزاته.

يتشكل الفساد في الطرح الفكري عبر البناء السلوكي للإنسان أو الفطرة البشرية في الوجود "وقد تعلق وصف فساد المدن بذلك الصراع البشري الناجم عن الرغبة والاستعداد الدائم لتدمير المنافس على الموضوع ذاته، وقد عالج (رينيه جيرار) في كتابه (العنف المقدس) فكرة إقامة المجتمع المثالي، وكأنه رآه مستحيلة حين أكد ان رغبة الإنسان غير مستقلة بل يعتمد بناؤها على عدم التورع في القضاء الآخر"<sup>12</sup> حيث يؤكد (رينيه جيرار) ان الطبيعة البشرية في الجماعات تتشكل رغباتها ليس في الأشياء ذاتها بل ما يملكه الآخر "ذلك ما يؤكد رينيه جيرار بإثباته للرغبة، بنية مثلثة قوامها: الراغب/فاعل الرغبة (sujet du désir) والمرغوب/ موضوع الرغبة (Objet du désir) والمنافس (Rival) يقيناً منه بأن رغبة التملك ضاربة في عمق كل نفس بشرية، وهذه الرغبة محاكية في جوهرها بمعنى أن المرء لا يرغب في هذا وذاك من الأشياء لما للغرض المرغوب من قيمة في ذاته بل لأن امرء آخر نظيره صيرره مرغوباً بفعل امتلاكه له"<sup>13</sup> هو تفاعل سلوكي بين محوري الراغب والمنافس والشيء المرغوب ما يخلف حالة الصراع التي تنجم عنها الحروب واختلال التوازن.



ترتبط أدبية الديستوبيا في الخطابات الشتى داخل مستويات الحياة ومنطق الإنسان في الكون، الحاجة إلى التملك وامتلاك الحاجة في نفس الوقت التي تبرر الوسيلة والغاية، إن التقاطع بين الواقع والكتابة يمثل كينونة الفعل الروائي وهو الإيقاع يشغل عليه الراوي ويحيله للتلقي عبر محور الحياة ومشهيدة الحقيقة التي لا يمكن الفرار من وحشيتها وخشونة طبيعتها.

### 3- الأدب بين الديستوبيا واليوتوبيا

إن محاولة الفلاسفة وأهل الدين والمنطق في خلق عالم يسوده النظام والعدالة والسلام، يتماثل عبر حلم بعيد التحقيق أو يتكون تحت أنظمة صارمة لكن لا تكاد تصنع التكامل أو محاولة تكميل توازن محتمل، لذلك يصنع الأدب ما تصنعه الخطابات الفلسفية والدينية في أدب اليوتوبيا مدنا فاضلة طوباوية:

أدب اليوتوبيا العربي	أدب اليوتوبيا الغربي
نهاد شريف - سكان العالم الثاني 1977	فرانسوا رابليه (1490-1553) - دير تيلم - يعيش سكانها على محور افعل ما تشاء
عبد السلام البقالي-الظرفان الأزرق 1976	أمن ديديرو (1713-1784) ملحق رحلة بوجانيفي
حسين قدرى- هروب إلى الفضاء 1981	ايتن كايه (1788-1856) - رحلة إلى إيكاريا
صبري موسى- السيد من حقل السباخ 1984	وليم موريس (1834-1896) أخبار من لا مكان
توفيق الحكيم- الطعام لكل فم	توماس مور (1477-1535) يوتوبيا
أماني فريد- همسات	
يوسف إدريس - جمهورية فرحات	

(الجدول رقم: 1) <sup>14</sup>

تندرج الأعمال في أدب الديستوبيا في تشفير الكوارث التي لامست الإنسان وأثرت في تحولاته وقد كان ما بعد الربيع العربي من أكثر التغيرات الجذرية للمفاهيم الإيديولوجية ومنطق التفكير، في تحليل المآسي وانتقالها إلى موضوعات أدبية وفنية خصبة وصالحة للسرد "وقد عالجت

الفنون والآداب موضوع الديستوبيا، فاعتمدوا الكوارث والحروب والأزمات، مصدرراً والقائمة طويلة في مجال الرواية وقد عدت رواية جورج أورويل 1984 من كلاسيكات هذا المدخل في الكتابة الأدبية حين تحدث عن (ثقب في الذاكرة) و(التفكير المزدوج) رمزا لحرق الأدلة وطمس الحقائق والتصديق بالكذب.

عن أشهر إحدى الروايات التي تعالج المخاوف من مستقبل يقضي على البشر، هي رواية جاك عام 1912 (الطاعون القرمزي) التي تدور أحداثها في أمريكا ما بعد نهاية العالم والقرن الحادي والعشرين، وتؤرخ الحياة بعد ستين عاماً من وصول الموت الأحمر Red Death، الذي لم يسقط سكان العالم فحسب بل أدى أيضاً إلى القضاء على الحضارة<sup>15</sup> أدب المقاومة وأدب الطغيان ثنائية البحث عن البقاء للأقوى، وهو ما حملته إيديولوجيا القوة الناعمة والعملة والكونية، من أسس التسيير العالمي للقوى، وسلب هوية الشعوب في ظل ثقافة أحادية تصنعها الكفة المتحركة في التكنولوجيا، التي تصنع الفكر حسب تطلعاتها وهو ما يحمله منطق الرواية المعاصرة.

#### 4- إيديولوجيا الكتابة في أدب الدستوبيا في رواية (ربيع حار للكاتبة الفلسطينية - سحر خليفة)

تكشف رواية (ربيع حار) للكاتبة (سحر خليفة) عربي القمع الإسرائيلي والعالم بصمته وسكونه أمام الدمار الفلسطيني أو الجرائم التي تعيشها المنطقة بعد تلاشي اتفاقية أوسلو بعاصمة مملكة النرويج المنعقدة يوم 13 سبتمبر 1993 الداعية إلى السلام بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية والموقعة من طرف الرئيس (ياسر عرفات) و(بيريز شيمعون) ممثلاً رئاسة إسرائيل وبحضور الرئيس الأمريكي السابق (بيل كلينتون)، تروي الرواية عن وقائع الانتفاضة الثانية الممتدة من (2000-2005) التي واجهت فيها الفصائل الفلسطينية الجيش الإسرائيلي، كما ارتبطت الفترة بمشهد الحصار على الرئيس (عرفات) ومجازر (نابلس)، كما تثير بؤرة التوتر التي أحدثتها العمليات الاستشهادية وما ينعته الغرب بالإرهاب وفي نفس الوقت، تُسلط الضوء على الحياة الاجتماعية وما ينعكس في العلاقات بين الرجل والمرأة وصورة الإنسان في ضعفه وقوته تلك الثنائيات، التي انطلقت منها الكاتبة تصنع عالماً من الحقائق، الظاهرة والخفية المستترة وذلك دأب الرواية المعاصرة التي تحقق باللغة نحو خطابات دفيئة تكشف الضوء على واقع الحياة الفلسطينية بمختلف فصولها وروابطها الوجودية "وما تنطوي عليه من أحداث يروي أنها لا تخلو من فكرتين:

الأولى: صراع الفلسطيني مع الآخر الإسرائيلي، من أجل تثبيت جذوره في الأرض والدفاع عن كينونته. والأخرى: صراع المرأة مع الرجل من أجل امتلاك حريتها، وممارسة حياتها الكريمة، بوصفها إنساناً يتمتع بكل صفات الإنسانية<sup>16</sup> إن كتابات (سحر خليفة) تعكف على تصوير نضال المرأة وتحدي الظروف القاسية وقدرتها على كشف ستار المعاناة ظهر في العديد من مؤلفاتها:

لم نعد جوارى لكم 1974-الصبارة، 1976-عباد الشمس 1980-مذكرات امرأة غير واقعية 1986-باب الساحة 1990-الميراث 1997-صورة وأيقونة وعهد قديم 2002-ربيع حار 2004- أصل وفصل 2008-حبي الأول، 2010- أرض وسما 2013.

لكن رواية (ربيع حار) قدمت سرداً حول أدب ديستوبي، يلامس واقعية الخراب والدمار بعد التراجع عن اتفاقية أوسلو وضرب الإسرائيليين القرارات واللوائح على الحائط، استخدموا الحصار الذي طوق حرية الفلسطينيين حيث كانت مذبحاً (نابلس) مشهداً درامياً "نابلس بردها قاسٍ يخرق العظم ورغم النيران والضرب والطخ مازالت نابلس مثل الثلج"<sup>17</sup> تحقق الكاتبة درجة شعورية لحالة التوجس والفقر والبؤس في نابلس تحت نيران القصف وبرودة الطقس.

يتحد الفلسطيني مع الأرض التي تخطط وجوده والمنزل المأوى لكيانه وكرامته ووجوديته، ليتحدى الموت مع دمار كينونته "أسرع ليحتضن الدار، جلس على العتبة وترجع، قال الجرافة لن تمر إلا فوق، فوق جسدي"<sup>18</sup> المقاومة في صراعها الوجودي تلتحم مع الموت دون تفكير، قناعتها بالشهادة وصعود الروح لبارئها نقية، تمنح متسعا من الشجاعة لمواجهة المستعمر دون خوف أو تردد. تمارس الكاتبة تحريك المشهد نحو الصورة الحسية، التي تتجمع في تمثيل القتل والتخريب ودرجة وقعه على الإنسان والحالة المأساوية، وهي تحفرُ تشخيص همجية الصهيوني في ذهن المتلقي، أمام إبادة الشعب الفلسطيني دون رحمة ولا تفكير ودرجة البشاعة التي تقتل فيها الحياة بلا رحمة ولا رافة "إنسان الغاب مثل الآلة لا يتحرك ولا يبدي فهماً أو عطفاً فقط يمشي"<sup>19</sup> تصاعدت الأحداث بين ماضي وحاضر، كما تكتنف شكل المستعمر وهو يمرر جريمته دون شعور أو تئيب ضمير، وبالمقابل استشهاد المقاومين من خلال تفجير أجسادهم وجعلها ذرعا للمقاومة غير مترددين في منح حياتهم لتقليص حجم المستعمر وكسر ظلاله المتعالية.

تساهم الرواية في سرد انتفاضة الأقصى وفضائع المستعمر، واستخدام شخصيات محورية مثل شخصية (مجيد) الذي يحاول الدراسة في الخارج لكنه يخرط في النضال، ثم يشتغل في مكتب الرئيس (ياسر عرفات) ويتعايش مع الحصار، ليتعرف على اللعبة السياسية ويفهم إيديولوجيا الحرب بين الطرفين، أما (سعاد) زوجة الأسير الفلسطيني عند قوات الاحتلال، تشتغل على ماكينة الخياطة لتعيل أسرتها.

تقوم الروائية (سحر خليفة) من خلال شخصيات خيالية بنقد السلطة ولا تضع كل اللوم على الاحتلال بل ترصد أهم التناقضات في هشاشة الواقع وارتباط الفلسطيني بهذا المحيط المهترئ الصادح بالتأملات والمشاهد "لماذا ما عاد يخاف الموت هو أو غيره من هذا الجيل؟؟ ولد في الاحتلال وتربى عليه وعاش جوه، والاحتلال يعني التناقض، ثورة وإذلال، عمالة فداء، خسة ونذالة وتجسس،

وكذلك تضحية قصوى تصل تصل الفداء بتفجير الذات، وهو هنا كفة ميزان نتأجج، بل لا ميزان فأمر الشعوب توزن بالعقل والمصالح أما هنا فكل الحسابات دون بوصلات وهذا ببساطة يُفسر لنا لماذا غنى محمود درويش ثم: غنى سيبوني يا ناس بحالي أروح مطرح ما أروحوا ابن جيل طالع نازل لم يعرف إلا الهزيمة واحتقار الذات بقصيدة شعر، وحلم خارق يملؤه الغاز، ثم ينفجر بعملية أفق ضحل<sup>20</sup> فالموت على حدود الحواجز مرضاً أو قهراً أو جوعاً غاية في الاحتقان المصري البأس للفلسطيني.

تشبه الكاتبة المدن بأقفاص معزولة، وأضحت الحواجز مصدر العجز والموت والانكسار، انبلجت الرواية من الاجتياح الصهيوني للضفة الغربية سنة 2002، وركزت الكاتبة (سحر خليفة) على بلدية جنين، والمدينة القديمة في نابلس وحوش العطرود وحارة الياسمينية هي أهم الأماكن التي صورت فيها وحشية الصهيوني وفرشت مدنا تعيش ديستوبيا حقيقة يكتنفها الجوع والقتل وتفوح منها رائحة الموت وأصوات الأسلحة والاعتقال الجبري.

تصنع الروائية التاريخ المرير بالتفاصيل الدقيقة لمشاعر الفلسطيني وتصوراتها، التي تنفخ ما ينصهر في ذوات إنسانية تكتب بها درجة الترهل الذي وصلت إليه المنطقة جراء الحروب والحصار الدائم، استمرارية هذه المقاومة أسقطت الكثير من الضحايا وشردت أسراً من بيوتها وممتلكاتها هو ما خلق تدمراً عند المؤلفة أحيانا وتأففاً من الوضع المزري وقد ألبست شخصياتها هذه التساؤلات العالقة في ذهنها.

وتصور شخصية (أم سعاد) التي تقود نساء أخريات لتوفير المأوى والمأكل للفقراء ومن تقطعت بهم السبل في الاجتياح درجة صمود النساء بأبسط مناحي التواجد والتحدي، وذلك بإصرارها على البقاء ومساهمتها في مساعدة من هم في درجة ارتباطها بالقضية ومحاولة تقاسم الأشياء ببساطتها.

5- ايطيقية اليوتوبيا رواية (ربيع حار)

حين تنغمس في عالم ديستوبيا داخل الرواية من خلال مساحة منغلقة بالحواجز والمآسي الإنسانية، تنفتح أيضاً على زاوية النضال والمقاومة، كما تحيلُ جماليات الكينونة الداخلية للإنسان ونبهه حتى تحقق التوازن بين طرفي السلوكات الإنسانية، تمتد الخطابات في السرد في تبثير فضاء للفضائل المكانية ببساطتها وعفويتها، والفضيلة البشرية المنغمسة بالطيبة والكرم رغم قلة الحيلة هي من أرفع الصور التي استنطقتها الروائية في خطاباتها، حين تدع المتلقي يستلقي ببصره في منزل سعاد الدافئ "رغم أنهم لا يملكون جنينة ولا حديقة، إلا أن دارهم المعلقة فوق القباب والأقواس مليئة بأزهار بيتية ونعنع وياسمينة تُعربش فوق المدخل وتجعل منه عريشة صغيرة"<sup>21</sup> تحاول الكاتبة (سحر خليفة)

تحقيق الواقع المندثر داخل عشوائية الحروب وغوغائية الألم، روح المنزل الفلسطيني وطبيعته وما يفوح حوله من نباتات وخصوصية لتبث السكينة والهدوء والسلام الذي يبثه معالم المنزل.

تُظهر الروائية (سحر خليفة) مهارتها في الكتابة حيث تلامس خيوط الهاجس الإنساني وقناعتها بالمبادئ التي تحقق قدرة العاطفة نحو الوطن القضية والإنسان وهي مرحلة إعادة التوازن القيمي في الخطاب الأدبي "وبطبيعة الحال أن إيمان الكاتبة بهذه المبادئ الكونية لا يتناقض مع تعاطفها، ووقوفها مع أبناء شعبها في الدفاع عن حقهم في الحياة وحرمتهم الشخصية، باعتبارها شعباً سلبت أرضه، وانتهكت حقوقه وحرماته، أو بعبارة أخرى إن الدافع الحقيقي وراء تصويرها للواقع الفلسطيني بأبعاده المختلفة هو دافع إنساني قبل أن يكون دافعاً وطنياً وقضية الالتزام عند الكاتبة أوسع بكثير مما تعارف عليه النقاد والأدباء"<sup>22</sup> تصنع الكاتبة أدبا دستوبيا يجسد أدبية الرواية في خلق خواص لأبعاد الخراب والدمار والغبن الذي يعيشه الفلسطيني في فترة الحصار الجائر والقمع، كما تصور خلجات النفس وما تعتصره من بؤس الحصار الذي خلف توتر العلاقات، كما جسدت الضغوط التي انعكست على الصراع بين ثنائية الرجل والمرأة، وقد وضعت لها حيزاً من البؤر المتوترة في الخطابات تكشف في الأخير درجة النضال الفلسطيني وسط ركام الاستيلاء الكلي لممتلكاته وأرضه ووطنه عبر خامات الخطاب السردية.

#### 6- خاتمة:

الكتابة محاولة لإيجاد منهج للحياة في متخيل بديل، رسم حدود الواقع بأشكال تخيلية لكنها تُقدم للمتلقي عرضاً تشخيصياً لما يعتلج الإنسان في دواخله النفسية أمام دمار وطنه، وتهشيم أحلامه البريئة، في رواية (ربيع حار) تترجم الروائية (سحر خليفة) تلك الأصوات العالقة في شخصياتها وتداخل الخطابات الداخلية والخارجية على مستوى من التاريخ الذي فرض الحصار ومزق أمشاج المجتمع، في خلق مقاومة تستعين بتفجير ذاتها، لتخلص من القمع والاستيطان المفروض عليها، حققت شكلاً من أشكال أدب الدستوبيا في صور التنكيل والظلم والفقر وكل أنواع البؤس.

تصور رواية (ربيع حار) انفلات الوضع في المنطقة بعد انتهاك معاهدة أوسلو ونقدها تتحول الأجواء لحالة احتدام بعد انتهاك المستعمر الإسرائيلي أراضي فلسطين وأرواح شعبها وبعد مجزرة نابلس واستيطان المنطقة، وفرض الحصار حتى على الرئيس (ياسر عرفات) خلق توتراً كبيراً واختناقاً وضيقاً، جسد انتفاضة أجساد فجرت عبوة غضبها، في مساحات تواجد العدو ولكن الغرب نظروا إليها بمنطق العمليات الإرهابية للإسقاط من قيمة المقاومة وإعلاء حق الدفاع الإسرائيلي وتبرئة أفعال المستوطن.

أدب الدستوبيا في الرواية جعل السرد مكاناً لاستنطاق مكان الحصار وما تركه من آثار نفسية وجسدية، كما صنعت صورة الفقر والبؤس في تقاسم الرغيف والمساعدات التي تقدم من النسوة في أبسط ما تملك هي في نفس الوقت تمرير للفضائل النفسية عند شخصياتها وتشخيصها لمسارات اليوتوبيا مع المواقف والأحداث لكن الأكثر تواجداً في الرواية صورة الأدب الذي يشيعُ مشاهد الفساد من خلال عبثية الإسرائيلي وتنكيله من خلال انغماس الروائية (سحر خليفة) في الصراع الجواني داخل شخصياتها تحت طقس مرير ومضني من الحرقه والاحترق وفوضى السلطة المحتجزة خلف الحصار والمتفككة بين المقاومة ومحاوله الخلاص من الواقع الضحل.

## -الهوامش

- 1 - مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2007 ص 692.
- 2 - مراد وهبة، المعجم الفلسفي، ص 692-693.
- 3 - توماس مور، اليوتوبيا، تز: أنجيل بططرس سمعان الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1987، ص 13.
- 4 - أفلاطون، الجمهورية المدينة الفاضلة، ترجمة، عيسى الحسن، الأهلية للنشر والتوزيع الأردن، مكتبة بيروت، لبنان، ط/1، 2009، ص 05.
- 5 - أفلاطون، الجمهورية المدينة الفاضلة، ص 12.
- 6 - أفلاطون، الجمهورية المدينة الفاضلة، ص 07.
- 7 - أفلاطون، الجمهورية المدينة الفاضلة، ص 07.
- 8 - توماس مور، اليوتوبيا، ص 42.
- 9 - كارل مانهايم، الأيديولوجيا واليوتوبيا مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة، ترجمة: محمد رجا عبد الرحمن الديريني، شركة مكنتبات الكويتية، الكويت، ط/1، 1980 ص 124.
- 10 - أحمد عبد الرزاق ناصر حسني، ثنائية اليوتوبيا - الدستوبيا في الرواية العراقية، دراسة سيميائية، مجلة الآداب، العدد: 112، 2015، ص 136.
- 11 <https://www.almayadeen.net/books> - تاريخ الولوج للموقع: 2024/04/15 الساعة 01:22
- 12 - محروس محمود القلبي، ديستوبيا الوباء في الرواية المصرية دراسة مقارنة، مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم، مج: 13، العدد: 1، 2021، ص 948.
- 13 - رينيه جيرار، العنف والمقدس، ترجمة: سمير ريشا، مراجعة: جورج سليمان، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط/1، 2009، ص 08.
- 14 - ينظر: <https://www.afriatnews.net> الولوج للموقع بتاريخ: 2024/04/15 الساعة 02:03
- 15 - محروس محمود القلبي، ديستوبيا الوباء في الرواية المصرية دراسة مقارنة، ص 948-949.
- 16 - أبو حميدة محمد صلاح، تقنيات السرد الروائي (ربيع حار لسحر خليفة)، مجلة كلية الآداب - جامعة حلوان، العدد: 30، 2011//01/01، ص 03.
- 17 - سحر خليفة، ربيع حار، رحلة الصبر والصبار، دار الآداب، بيروت لبنان، ط/1، 2004، ص 268.

- 18 - سحر خليفة، ربيع حار، ص 371.  
 19 - سحر خليفة، ربيع حار، ص 373.  
 20 - سحر خليفة، ربيع حار، ص 55.  
 21 - سحر خليفة، ربيع حار، ص 101.  
 22 - أبو حميدة محمد صلاح، تقنيات السرد الروائي (ربيع حار لسحر خليفة)، ص 04.

#### 8-المصادر والمراجع:

##### 1-7-المصادر:

1. سحر خليفة، ربيع حار، رحلة الصبر والصبار، دار الآداب، بيروت لبنان، ط/1، 2004.

##### 2-8-المراجع:

##### 1-2-8- الكتب:

1. أفلاطون، الجمهورية المدينة الفاضلة، ترجمة، عيسى الحسن، الأهلية للنشر والتوزيع الأردن، مكتبة بيروت، لبنان، ط/1، 2009.  
 2. توماس مور، اليوتوبيا، تر: أنجيل بطرس سمعان الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1987.  
 3. رينيه جيرار، العنف والمقدس، ترجمة: سمير ريشا، مراجعة: جورج سليمان، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط/1، 2009.  
 4. كارل ما نهايم، الأيديولوجيا واليوتوبيا مقدمة في سوسولوجيا المعرفة، ترجمة: محمد رجا عبد الرحمن الدبريني، شركة مكنتبات الكويتية، الكويت، ط/1، 1980  
 5. مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2007.

##### 2-2-8-المجلات العلمية:

1. أبو حميدة محمد صلاح، تقنيات السرد الروائي (ربيع حار لسحر خليفة)، مجلة كلية الأدب - جامعة حلوان، العدد:30، 2011/01/01  
 2. أحمد عبد الرزاق ناصر حسني، ثنائية اليوتوبيا - الدستوبيا في الرواية العراقية، دراسة سيميائية، مجلة الآداب، العدد:112، 2015.  
 3. محروس محمود القللي، دستوبيا الوباء في الرواية المصرية دراسة مقارنة، مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم، مج: 13، العدد: 1، 2021.

##### 3-2-8-المواقع الإلكترونية:

1. <https://www.afrigatenews.net>

2. <https://www.almayadeen.net/books>